خواطر عابرة .. في الأدب العربي المعاصر

بقلم عبد الوهاب الأمين

لست اريد ان يكون كلامي محمولاً على العاطفة وحدها ، كما اني لا اريد ان يخلو منها .

وليس ذلك لأني لا اقدر للعواطف وزنها . فهي هي في نظري حيث كانت من الأهمية ، ولكن سبيل الرد المفضل على ما اقول قد يجد له منفذاً اذا قيل اني منساق بها .

فالواقع ان مهمة الاديب في هذا الظرف الدقيق من تاريخ الادب العربي ابتعدت كثيراً عما كان مقدراً لها ان تكون عليه في مطلع هذا القرن. ولست أجد كثيراً من الظلم عند من يصم موقف ادباء العربية ، وبخاصة الكبار منهم في السن وفي المنزلة معاً ، بالخيانة الفكرية ، فهي لا تقل بحال عنها .

* * *

نذكر كلنا ولا شك تلك المعركة الهوجاء بين « القديم » و « الجديد » في الادب ، كما نذكر أعلام تلك المعركة ، ومن اكتووا بنارها . ويذكر المتحمسون منا ظلم جانب لجانب في القصد، وتعسف جانب لآخر في اتهام النيات والطعن بالأصول.

وما زلنا نذكر تلك الآمال المعلقة على رجال الادب « الجديد » او « الحديث » او ما شئت فسمّه بخير الاسماء ، ونحن في مطلع « نهضة » فكرية كان يحلو لنا ان نتلمس آثارها تلمس الواقع الصلد .

فما الذي آضت اليه تلك الثورة المبتسرة؟ وما الذي كسبه الادب العربي من تلك المعركة ؟ وكيف تلقاها الجيل الطالع؟

اذكرُ والاسف يملأ جوانبي انني كنت اناقش صديقاً في ذلك الحين حول جوهر تلك « الثورة » وذلك الأدب الجديد ، وانه كان يقول لي — وانا ادرك الآن صواب ما اتجه اليه — ان هذه الثورة مصطنعة كلها ، وان الهدف منها لن يتم الوصول اليه . واذا كان هناك ساحل يمكن الرسو فيه ، فلن يكون هذا الساحل لخير الفكر ، ولن يخدم تكوين قيادة فكرية سليمة لوجه الأدب العربي، لانها ليست ثورة حقيقية بالمعنى المفهوم من الثورات الادبية التي تكون في مطلع النهضات ، بل احرى بها ان تكون عاملاً على عرقلة السير الطبيعي للفكر، ولعلها ستنتهي بردّة فكرية .

واذكر اني كنت ارمي صاحبي تارة بسوء النظر، واخرى بسوء الطوية، واني كنت اناجزه الرأي وانا مدفوع في الحقيقة بالتمني اكثر من اندفاعي في سبيل الحق المجرد ، فقد كنت اريد ان يتحقق ما اظنه وشيك الحصول. وهو ما يسميه رجال علم النفس بـ (Wishful Thinking).

وها اني اجد اليوم مصداق ما ذهب اليه صاحبي آنذاك.

* * *

لقد طافت الرجعية كما افهمها ، وكما يفهمها الآن معي رجل الشارع، طوافها في سبل الفكر، وبخاصة في مصر واخذت دورتها الكاملة ، ولم تنته بعد .

وفي مقدمة عناصر الرجعية الفكرية الآن اعمدة الدعوة الى الادب الجديد والى التحرر من وثنية الماضي .

وكنا نسير على يد هؤلاء القادة الفكريين في مسالك ذهنية تبعد الآن باجيال عديدة عن المسالك الضيقة التي يريدون منا ان نسلكها معهم من جديد، بعد ان تركوا جادة الادب «الجديد»!

وبعد ان كنا نجد حرية الفكر المجردة بايحاء منهم، اصبحنا نجد التضييق الفكري عن طريق العصبية الدينية ، بل العصبية المذهبية التي فاتها الزمن، وعلى يدهم هم مع الاسف .

ولولا ان تدارکتنا يد الغرب فوجهنا وجوهنا شطره ، لما خرجنا من ذلك الطريق الأعمى الذي ادخلونا فيه حول ماهية الخلاف بين ابي بكر وعلي الى يوم الدين !

* * *

وانا اتكلم عن نفسي. واظنني في ذلك انطق عن كثيرين.

وقد ينفع ان يتكلم المرء عن نفسه اذا كان القصد ان يكون امثولة او ان يكون، على خير الفروض، حقل تجاريب كما يقولون في لغة العلم ، وبذلك تجد الـ « انا » المكروهة محلاً لها في الحديث ، لأن العبرة هي المقصودة ، لا التحدث عن آلاء النفس

فلو اني قصرت همي ، وحجرت فكري على الزاد الذي

كنت اتلقاه مـــن قادة الفكر العربي المعاصرين ، ولو اني لم اطلع برأسي من نافذة آخرين هي نافذة الغرب ، لكنت في حلقة مفرغة من حيث الكم والكيف .

اقول لو اني قصرت همي على أدب اليوم كما نتلقاه الآن ، بغير شوق ، من مصر مثلاً ، لما خرجت بغير الضئيل من الأدب الضحل في مضمار اللغة ، وغير المنقلب من الفكر المدعر في مضمار الذهن .

ولا اظن احداً يختلف معي في ان المعيار حقيقي بقدر ما هو قاس . فان شدة الداء ليست من صنع الطبيب ومرارة الدواء ليست ذنبه . واوجع ما في الامر ان احـدا لم يتطرق الى شيء من هذا لان شعور الكاتب والقارىء معاً قد اختفى وراء احط وسائل الصحافة لاستغلال أحط غرائز الانسان فقط. وفيما عدا ما يكتبه القلة القليلة من امثال الاستاذ «سلامة موسى» مما له علاقة بالهموم الذهنية لرجل اليوم لايستطيع القارىء أن يجد في البريد الضخم الذي ترسله المطبعة المصرية للعـالم العربي شيئاً غير أخف انواع « القراءة الخفيفة ».

* * *

لعل هذا الكلام كان ينبغي له ان يوجه على غير هذا الوجه وان ينصرف اللوم فيه غير منصرفه . ولكني لا اعني به غير تسجيل بعض الخواطر التي اتمنى ان يكون صداها لدى غيري قريباً من وقعها في نفسي . ولعل هناك من يجد الوسيلة الفضلى للتعبير عما كنت اريد ان اقوله فيكون لقوله اعمق صدى . وفي ذهني ردود كثيرة يستطيع أن يرد بها الكثيرون ويحاولوا أن يتمحلوا الاعذار لهذا الضحول الذهني والتردي الفكري الذي نلمسه في ادبنا المعاصر ، وهي في جملتها تقع على عاتق القارىء قبل أن تقع على عاتق الكاتب . وانا لااريد أن استبق الكلام، وفي ذهني رد على تلك الردود ، فاذا كان هناك صدى لما قلت فلعل الحديث سيكون ذا شجون كما يقولون .

بغداد — **عبدالوهاب الامين**

اطلب من دار العلم للملايين

الملحمة الشعرية الرائعة

عشتروت وأدونيس

للدكتور حبيب ثابت

طبعة مترفة حافلة بالرسوم الفنية — الثمن اربع ليرات لبنانية

الخطى الحائرة ...

دنيا تدور أمامنا
وعوالم تطوي السنينْ
وضجيج أصداء مجنّحة تحثّ السابلينْ
ما بالنا ؟ ...
نبقى دواماً ها هنا ...
ونخوض في بحر خضمٍّ من غباوة أمسنا
ها نحن نبحث عن طريق ...
والطريق أمامنا
فنعود دهراً للوراء
ونتيه في سبل الفنا
متردّدين ... فهل نسير مع الورى
او لا نسير
متردّدين كأمسنا والكون أعياه المسير
ونَمدّ أيدينا لنلقى من يُبين لنا السبيل
لكنّنا لا نفتح الأبصار في وجه الدّليل
فنظل نهتف خلفه في ظلمة الكهف الطويلْ
لقطيع أشباح من الوهم المخادع لا تزولْ
لكن يعود بنا . . .
الى حيث اعتزمنا للرحيل

* * *

أسفيَ ... توارى صوتنا
في ضجة الكون الكبيرْ
ومضى الزمان ....
وما برحنا حائرين هنا ندورْ
فاذا وقفنا ها هنا
فلسوف ينسانا الشروقْ
والأفـق يحتضن الصّدى
والغيم يبتلع الطّـريقْ
فنتيه في كهف الفنا
ويضمّنا الماضي السّحيق

تونس — **محمد العربي صمادح**